شرح منظومة في الاعتقاد لمجد الدين الكاتب المصري

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما الله تعالى

١٤٤١/٠٤/١٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

هذه منظومة لطيفة ونافعة في الاعتقاد لأحد علماء الشافعية وهو مجد الدين يوسف بن محمد الكاتب المصري ثم الدمشقي المعروف بابن المهتار المتوفى سنة ٦٨٥ . وهي منظومة جميلة جداً في تقرير الاعتقاد في قرابة الأربعين بيتاً وضمَّنها رحمه الله جُلَّ مسائل الاعتقاد بإشاراتٍ لطيفة وتنبيهاتٍ جميلة مع إشارةٍ في بعض المواضع إلى الأدلة ، وهذه المنظومة فيما أعلم لا وجود لها مطبوعةً إلا في ضمن مجموع لمنظومات في العقيدة جمَعَه الشيخ عبد الله البُصَيْري شفاه الله وعافاه ضمَّنه قصائد عديدة في الاعتقاد منها هذه القصيدة ، ولم أرَها مطبوعةً في موضع آخر. وفي هذا اليوم حصلت على نسخة خطية لهذه المنظومة وقابلت على النسخة وصححت العديد من الأخطاء في قراءة نص هذه المنظومة وأثبتُّ النص الذي بين أيديكم مقابلاً على النسخة الخطية لهذه المنظومة .

وأسأل الله عز وجل أن ينفعنا أجمعين في مجلسنا هذا بقراءة هذا النظم النافع الماتع المفيد ، ومثل هذه المنظومات يحسن ويجدر نشرها في البلدان التي يتمذهب أهلها بمذهب الإمام الشافعي حتى يعرِفوا مثل هذه الجهود العظيمة المباركة في تقرير المعتقد الحق ؛ معتقد أهل السنة والجماعة .

قال مجد الدين يوسف بن محمد رحمه الله تعالى في منظومته :

١- تَعَالَى الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْفَرْدُ لَهُ عِلْمُ مَا يَخْفَى مِنَ الْعَبْدِ أَوْ يَبْدُو

٢- هُوَ الْأَوَّلُ الْمُبْدِي فَلَيْسَ لَهُ نِدُّ هُوَ الْآخِرُ الْمُغْنِي لَهُ الْقَبْلُ وَالْبَعْدُ

٣- إِلَهٌ بَرَانَا لَيْسَ نَعْبُدُ غَيْرَهُ وَحُقَّ لِبَارِي الْخَلْقِ أَنْ يَعْبُدَ الْعَبْدُ

٤- تَقَدَّسَ عَنْ زَوْجٍ وَعَنْ وَلَدٍ لَهُ وَعَنْ مُشْبِهٍ أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِدُّ

٥- عَلِيمٌ فَمَا شَيْءٌ عَلَيْهِ بِعَازِبٍ تَسَاوَى لِمَعْلُومَاتِهِ الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ

٦- سَمِيعٌ إِذَا دَبَّتْ عَلَى الصَّخْرِ ذَرَّةٌ وَيُبْصِرُ فِي الدَّيْجُوجِ مَا هُو مُسْوَدُّ

٧- رَحِيمٌ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ رَحْمَةً وَوَاحِدَةٌ فِي الْحَشْرِ تَمَّ بِهَا الْعَقْدُ

٨- وَفِي كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوَرَى آيَةٌ لَهُ تَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ وَاحِدٌ فَرْدُ

٩- فَمَنْ كَانَ حَيًّا قَلْبُهُ ظَهَرَتْ لَهُ وَمَنْ كَانَ مَيْتًا قَلْبُهُ فَاتَهُ الرُّشْدُ

هذه الأبيات كلها في تعظيم الله عز وجل والثناء عليه جل في علاه بذكر عظمته وجلاله وكماله وذكر صفاته العليا وأسمائه الحسنى الدالة على جلاله وكماله سبحانه وتعالى ، بدأ بقوله :

تَعَالَى الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْفَرْدُ لَهُ عِلْمُ مَا يَخْفَى مِنَ الْعَبْدِ أَوْ يَبْدُو

((**تَعَالَى الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْفَرْدُ**)) ؛ تعالى : أي تقدس وتعاظم وله العلو سبحانه وتعالى .

((**الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ**)) هذه كلها أسماء ثابتة لله عز وجل ؛ أما الإله فهو دال على ألوهية الله ، والألوهية : العبودية ، وأما الواحد فهو دال على وحدانية الله جل وعلا وأنه المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، والصمد دال على الصمدية وهي تتناول أمرين : كمال الغنى وكمال القدرة ، سبحانه وتعالى الصمد الذي كمُل في صفاته كلها والذي تصمد إليه الخلائق في حاجاتها كلها .

و((**الْفَرْدُ**)) هذا من باب الإخبار عن الله عز وجل وليس معدوداً في الأسماء الحسنى ، فيخبَر عنه بأنه الفرد أي المتفرد بصفات الجلال والكمال والعظمة لا ندَّ له تبارك وتعالى ولا شريك .

وقوله ((**لَهُ عِلْمُ مَا يَخْفَى مِنَ الْعَبْدِ أَوْ يَبْدُو**)) أي أحاط علماً بكل شيء وأحصى كل شيء عددا ، السر عنده علانية والغيب عنده شهادة ، لا تخفى عليه سبحانه وتعالى خافية ، ويستوي في علمه جل في علاه السر والعلانية والغيب والشهادة كلها عنده تبارك وتعالى سواء ، يعلم الظاهر والباطن والخفي والمعلَن ، أحاط علماً بكل شيء .

هُوَ الْأَوَّلُ الْمُبْدِي فَلَيْسَ لَهُ نِدُّ هُوَ الْآخِرُ الْمُغْنِي لَهُ الْقَبْلُ وَالْبَعْدُ

((**هُوَ الْأَوَّلُ**)) أي الذي لا شيء قبله كما جاء الحديث بتفسير ذلك . والأول اسم من أسماء الله تبارك وتعالى.

((**الْمُبْدِي**)) أي لهذه المخلوقات ، الذي بدأها وأوجدها وأنشأها من العدم ، فهو جل وعلا المبدي .

((**فَلَيْسَ لَهُ نِدُّ**)) أي تفرَّد بالخلق والإيجاد لا ندَّ له كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] أي لا تجعلوا لله شركاء في العبادة وأنتم تعلمون أنه لا خالق لكم غير الله .

((**هُوَ الْآخِرُ**)) أي الذي لا شيء بعده كما جاء تفسيره بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

((**الْمُغْنِي**)) أي لمن شاء بالإمداد والفضل والإنعام لأن الأمر بيده سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [النجم:٤٨] فالله جل وعلا وحده هو المغني كما أنه عز وجل هو وحده الغني . الغني : أي بنفسه عمن سواه ، والمغني : أي لمن شاء ، لا غنى لأحد إلا بإغناء الله سبحانه وتعالى له ، فهو المغني عز وجل .

((**لَهُ الْقَبْلُ وَالْبَعْدُ**)) أي له تبارك وتعالى ملك كل شيء ؛ القبل والبعد : أي السابق واللاحق ، الأول والآخر ، المتقدم والمتأخر ، كل ذلكم لله عز وجل .

إِلَهٌ بَرَانَا لَيْسَ نَعْبُدُ غَيْرَهُ وَحُقَّ لِبَارِي الْخَلْقِ أَنْ يَعْبُدَ الْعَبْدُ

((**إِلَهٌ بَرَانَا**)) ومن أسمائه جلَّ في علاه الباري . برانا : أي أوجدنا وخلقنا من العدم .

((**لَيْسَ نَعْبُدُ غَيْرَهُ**)) أي كما أنه تفرَّد بالخلق والبري والإيجاد فلا نعبد غيره ؛ وهذا فيه استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية ، أي كما أنه تبارك وتعالى تفرد بالخلق والبري والرَّزق والإيجاد فإنه يجب أن يُفرَد بالعبادة ، ولهذا قال موسى عليه السلام لقومه : ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة:٥٤] ، ذكر هذا الاسم من أسماء الله لأن تفرده بذلك سبحانه وتعالى موجبٌ لإفراده وحده بالعبادة .

((**لَيْسَ نَعْبُدُ غَيْرَهُ**)) أي لا نصرف شيئا من العبادة لغيره ؛ فالعبادة حق للباري وحده ، وكما أنه لا شريك له في البري فلا شريك له في العبادة ، ولهذا يقول :

((**وَحُقَّ لِبَارِي الْخَلْقِ أَنْ يَعْبُدَ الْعَبْدُ**)) حُقَّ لمن تفرد بإيجادهم وخلقهم والتصرف فيهم والإنعام والإعداد والإمداد الذي تفرد بذلك كله حُق له أن يعبُد العبد : أي أن يفرده وحده العبد بالعبادة . والعبادة حق له سبحانه وتعالى لا يجوز أن يُجعل معه شريك في شيء منها .

تَقَدَّسَ عَنْ زَوْجٍ وَعَنْ وَلَدٍ لَهُ وَعَنْ مُشَبَّهٍ أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِدُّ

((**تَقَدَّسَ**)) أي تنزه والتقديس التنزيه .

((**عَنْ زَوْجٍ وَعَنْ وَلَدٍ لَهُ وَعَنْ مُشْبِهٍ أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِدُّ**)) هذا البيت كله في تنزيه الله تبارك وتعالى .

أولاً ((**عَنْ زَوْجٍ**)) ؛ فهو عز وجل منزهٌ عن الزوج أي أن تكون له صاحبة ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام:١٠١] نزَّه تبارك وتعالى نفسه عن ذلك ، والصاحبة المراد بها الزوجة ، فهذا الأمر الأول .

الأمر الثاني ((**وَعَنْ وَلَدٍ لَهُ**)) أي ومنزَّه عن أن يكون له ولد ، قال الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:١-٣] ، وقال ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ [البقرة:١١٦] أي تنزه وتقدس عن ذلك .

((**وَعَنْ مُشْبِهٍ**)) أي وتنزه تبارك وتعالى عن أن يكون له شبيه وهو القائل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] .

((**أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِدُّ**)) الضد هو المضاد والمغالِب ، فالله سبحانه وتعالى منزَّه ومقدَّس تبارك وتعالى عن ذلك.

عَلِيمٌ فَمَا شَيْءٌ عَلَيْهِ بِعَازِبٍ تَسَاوَى لِمَعْلُومَاتِهِ الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ

((**عَلِيمٌ**)) العليم اسم من أسمائه وهو دال على ثبوت العلم صفةً له تليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى .

((**فَمَا شَيْءٌ عَلَيْهِ بِعَازِبٍ**)) أي لا يغيب عنه ولا يعزب عنه شيء ، علمه تبارك وتعالى محيط بكل شيء ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:٣] .

((**تَسَاوَى لِمَعْلُومَاتِهِ الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ**)) أي ما يعلمه وما أحاط به علمه تبارك وتعالى سواءٌ فيه القريب والبعيد الداني والقاصي والخفي والمعلن ؛ كلها في علمه تبارك وتعالى سواء كما مر معنا في البيت الأول عند الناظم .

سَمِيعٌ إِذَا دَبَّتْ عَلَى الصَّخْرِ ذَرَّةٌ وَيُبْصِرُ فِي الدَّيْجُوجِ مَا هُو مُسْوَدُّ

((**سَمِيعٌ**)) ؛ السميع اسم من أسمائه والسمع صفة له تبارك وتعالى ، فله تبارك وتعالى سمعٌ وسع الأصوات كلها المعلن منها والخفي السر والعلن ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد:١٠] كل ذلك سواء عند الله ، الصوت العالي والصوت الخافت كله سواء عنده تبارك وتعالى .

((**سَمِيعٌ**)) أي له سمع وسع الأصوات كلها ((**إِذَا دَبَّتْ عَلَى الصَّخْرِ ذَرَّةٌ**)) يعني يسمع صوت دبيب الذر . الدبيب : هو صوت مشي الذرة ، لو اقتربت أو أدنيت أذنك من ذرة تمشي ما سمعت صوت دبيبها ، ورب العرش يسمع صوت دبيب الذر من فوق سبع سماوات ، سواء عنده تبارك وتعالى الصوت الخافت أو الصوت العالي .

((**وَيُبْصِرُ فِي الدَّيْجُوجِ**)) والمراد بالديجوج : أي الظلام .

((**مَا هُو مُسْوَدُّ**)) أي ما كان لونه أسود . فإذا كان ظلام واللون أسود لا يُرى ، إذا كان المكان مظلم تماماً والموجود في المكان مثلاً قطعة سوداء لا يمكن أن يراها أحد ، لكن لو كانت بيضاء أو لون آخر ربما أنه يتيسر رؤيتها ، لكن إذا كان المكان مظلم تماماً وأنت تبحث عن قطعة سوداء في هذا المكان المظلم لا يمكن أن تراها ، ورب العرش سبحانه وتعالى يبصر في الديجوج أي في الظلام ما هو مسوَّد ؛ أي الشيء الأسود الذي لا يرى في الظلام يراه رب العالمين سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات .

رَحِيمٌ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ رَحْمَةً وَوَاحِدَةٌ فِي الْحَشْرِ تَمَّ بِهَا الْعَقْدُ

((**رَحِيمٌ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ رَحْمَةً وَوَاحِدَةٌ فِي الْحَشْرِ**)) أي مئة رحمة .

((**وَوَاحِدَةٌ فِي الْحَشْرِ**)) أي يوم القيامة ((**تَمَّ بِهَا الْعَقْدُ**)) أي عقد المئة ، لأن الله عز وجل خلق الرحمة مئة رحمة وأنزل منها رحمة واحدة بها يتراحم الخلق وأبقى تسعاً وتسعين رحمة كما جاء بذلكم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والناظم في هذا البيت حدث عنده قلْبٌ لمعنى الحديث ، والذي دل عليه الحديث أن الله عز وجل أنزل رحمة واحدة بها يتراحم الخلق وادَّخر تسعة وتسعين ليوم القيامة ، لكن هذا المعنى انقلب عند الناظم رحمه الله تعالى في هذا البيت .

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوَرَى آيَةٌ لَهُ تَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ وَاحِدٌ فَرْدُ

((**وَفِي كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوَرَى آيَةٌ لَهُ**)) أي تعدَّدت الآيات الدالة على الخالق وكماله وعظمته وجلاله سبحانه وتعالى.

((**وَفِي كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوَرَى آيَةٌ**)) يعني كل شيء في هذه المخلوقات تراه يعدُّ آية دالة على كمال الخالق وعظمة المبدِع سبحانه .

((**تَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ وَاحِدٌ فَرْدُ**)) هذا نظير قول الناظم : " وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه الواحد " . فجميع هذه المخلوقات دالة على عظمة خالقها وكمال مبدعها سبحانه وتعالى ، لكن من الذي ينتفع بهذه الآيات ؟ وهل كل أحد ينتفع بها ؟ الجواب يأتي في قول الناظم :

فَمَنْ كَانَ حَيًّا قَلْبُهُ ظَهَرَتْ لَهُ وَمَنْ كَانَ مَيْتًا قَلْبُهُ فَاتَهُ الرُّشْدُ

((**فَمَنْ كَانَ حَيًّا قَلْبُهُ ظَهَرَتْ لَهُ**)) أي من كان في قلبه حياة فإن هذه الآيات تظهر له وتكون بارزة وواضحة وتفيده وتؤثر فيه .

((**وَمَنْ كَانَ مَيْتًا قَلْبُهُ فَاتَهُ الرُّشْدُ**)) أما الذي قلبه ميت فتلك الآيات لا تنفعه ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف:١٠٥] لا يستفيدون ولا ينتفعون ، فالآيات والنذر لا تغني عن الإنسان الغافل المعرض الذي لم يقبِل بقلبه ولم يكن قلبه حيًّا فإنه لا ينتفع بهذه الآيات . فبيَّن رحمه الله في هذا البيت أن الآيات إنما ينتفع بها من كان قلبه حياً ، أما من كان قلبه ميتاً فإنه لا ينتفع ولا يستفيد .

قال رحمه الله :

١٠- **أَبَانَ لَنَا طُرْقَ الْهُدَى بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ حَتَى صَفَا الْوِرْدُ**

١١- **نَبِيٌّ كَرِيمٌ فِي الْقُرْآنِ صِفَاتُهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ لَمْ يَشِنْ قَلْبَهُ الْحِقْدُ**

١٢- **نَبِيٌّ سَرَى فَوْقَ الْبُرَاقِ كَبَرْقَةٍ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى وَدَانَ لَهُ الْبُعْدُ**

١٣- **نَبِيٌّ عَلَا فَوْقَ الطِّبَاقِ مُقَرَّبًا فَيَا حَبَّذَا قُرْبٌ بِهِ كَمُلَ السَّعْدُ**

١٤- **وَكَلَّمَهُ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ رَبُّهُ مُشَافَهَةً هَذَا هُوَ الْفَخْرُ وَالْمَجْدُ**

١٥- **وَيَكْفِيهِ أَنَّ النَّاسَ تَحْتَ لِوَائِهِ فَيَشْفَعُ فِيهِمْ حِينَ يَعْلُوهُمُ الْجَهْدُ**

١٦- **وَيَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ لِلَّهِ حَامِدًا يُقَالُ لَهُ ارْفَعْ قَدْ أُجِيبَ لَكَ الْقَصْدُ**

١٧- **لَهُ الْكَوْثَرُ الْمَوْرُودُ حُلْوٌ شَرَابُهُ فَمَنْ نَالَهُ لَمْ يَلْقَهُ ظَمَأٌ بَعْدُ**

١٨- **فَمَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ حَصْرَ صِفَاتِهِ وَكَيْفَ وَلَا يُحْصَى لَهَا أَبَداً عَدُّ**

١٩- **وَمَاذَا عَسَى نُثْنِي عَلَى خَيْرِ مُرْسَلٍ لَهُ مُعْجِزَاتٌ نَالَهَا مَا لَهَا حَدُّ**

٢٠- فَـإِقْرَارُنَا بِالْعَجْـزِ عَـنْ دَرْكِ وَصْـفِهِ مَـدِيحٌ لَـهُ ثُمَّ اعْتِـذَارٌ لَنَـا بَعْـدُ
٢١- فَـأَفْلَحَ مَـنْ أَضْـحَى بِنُـورٍ لَـهُ اهْتَـدَى وَقَـدْ خَـابَ مَـن مَـارَى وَكَـانَ لَـهُ جَحْـدُ

هذه الأبيات يتحدث فيها الناظم رحمه الله تعالى عن منَّة الله سبحانه وتعالى العظمى ببعثة النبي الكريم محمدٍ صلوات الله وسلامه عليه ، ويعدِّد في هذه الأبيات فضائل النبي عليه الصلاة والسلام وخصائصه وشمائله وحقوقه صلوات الله وسلامه عليه في أبيات جميلة . يقول :

أَبَانَ لَنَا طُرْقَ الْهُدَى بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ حَتَى صَفَا الْوِرْدُ

((**أَبَانَ لَنَا**)) أي الله الذي مضى عدُّ شيء من أسمائه الحسنى وصفاته العليا ، أبان أي أوضح لنا
((**طُرْقَ الْهُدَى**)) أي سبُل الهدى . والجمع هنا للطرق مع أن سبيل الله واحد !! بمعنى تنوُّع الأعمال والطاعات المقرِّبة إلى الله ، ومن ذلكم قوله ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩] . فالجمع هنا باعتبار تنوع الأعمال والطاعات المقرِّبة إلى الله سبحانه وتعالى . فـ((أَبَانَ لَنَا طُرْقَ الْهُدَى بِنَبِيِّنَا)) أي الله جل وعلا أبان لنا سبل الهدى بمبعث النبي الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه .
((**بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ**)) ؛ محمد هذا اسمه صلى الله عليه وسلم ، المختار أي الذي اجتباه الله واصطفاه .
((**حَتَى صَفَا الْوِرْدُ**)) أي أصبح الوِرْد الذي هو المورد مورداً صافياً عذباً لا شائبة فيه ، ومن نَهَل من المورد الأول والمعين الأول وجد بقية الموارد كدِرة ، ولا يصفو إلا هذا المورد الذي جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وكل مورد آخر يرِده الناس فيه من الشوائب ما فيه إلا المورد العذب الذي جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام ، فهو وردٌ صفوٌ لا كدر فيه ولا شائبة فيه .

نَبِيٌّ كَرِيمٍ فِي الْقُرْآنِ صِفَاتُهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ لَمْ يَشِنْ قَلْبَهُ الْحِقْدُ

((**نَبِيٌّ كَرِيمٍ فِي الْقُرْآنِ صِفَاتُهُ**)) قوله نبي أي نبأه الله وهو يُنْبِئ بما أنبأه الله سبحانه وتعالى به ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ﴾ [التحريم:٣] فهو نبي أنبأه الله ، وهو ينبؤ بما أنبأه الله سبحانه وتعالى .
((**كَرِيمٍ**)) أي كريم الصفات والخصال والخلال صلوات الله وسلامه عليه .
((**فِي الْقُرْآنِ صِفَاتُهُ**)) أي ذكر الله سبحانه وتعالى صفاته في القرآن الكريم ، مشيراً بذلك رحمه الله إلى أن القرآن الكريم فيه آيات كثيرة جداً في ذكر صفات النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .
((**رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**)) أي من صفاته أنه عليه الصلاة والسلام رؤوف رحيم .

((**نَبِيٌّ كَرِيمٍ فِي الْقُرْآنِ صِفَاتُهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**)) أي وَصَفه الله في القرآن بأنه رؤوف رحيم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] .

((**لَمْ يَشِنْ قَلْبَهُ الْحِقْدُ**)) أي طهَّر الله سبحانه وتعالى قلبه عليه الصلاة والسلام من الحقد ، ليس في قلبه حقد وإنما قلبه فيه الرحمة والرأفة والإحسان والحرص ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ هذا الذي في قلبه عليه الصلاة والسلام .

((**لَمْ يَشِنْ قَلْبَهُ الْحِقْدُ**)) والحقد شين القلوب وقُبْحها إذا بُليت به ، كما أنَّ سلامة القلوب من الحقد والغل ونحو ذلك هو من زيْن القلوب وحُسنها وجمالها .

نَبِيٌّ سَرَى فَوْقَ الْبُرَاقِ كَبَرْقَةٍ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى وَدَانَ لَهُ الْبَعْدُ

((**نَبِيٌّ سَرَى**)) أي في الليل ، تلك الليلة التي أسري به عليه الصلاة والسلام

((**فَوْقَ الْبُرَاقِ**)) أي دابة يقال لها البراق ركبها عليه الصلاة والسلام وسرى فوقها إلى بيت المقدس .

((**كَبَرْقَةٍ**)) يعني مثل البرق كان سراه في تلك الليلة صلوات الله وسلامه عليه .

((**إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**)) ؛ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء:١] فهذا السُّراء كان على البراق وهي دابة وكان سريعاً كالبرق .

((**وَدَانَ لَهُ الْبَعْدُ**)) يعني الشيء البعيد دان له صلوات الله وسلامه عليه .

نَبِيٌّ عَلَا فَوْقَ الطِّبَاقِ مُقَرَّبًا فَيَا حَبَّذَا قُرْبٌ بِهِ كَمُلَ السَّعْدُ

((**نَبِيٌّ عَلَا فَوْقَ الطِّبَاقِ مُقَرَّبًا**)) ؛ الطباق : أي السماوات ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك:٣] الطباق أي السماوات السبع ، فهو نبي علا أي ارتفع فوق الطباق أي فوق السبع السماوات صلوات الله وسلامه عليه .

((**مُقَرَّبًا**)) أي قرَّبه ربه جل وعلا .

((**فَيَا حَبَّذَا قُرْبٌ بِهِ كَمُلَ السَّعْدُ**)) أي هذه المنقبة العظيمة التي أكرم الله سبحانه وتعالى بها النبي الكريم هي منقبة حبيبة إلى قلوب أهل الإيمان ولها مكانتها في نفوسهم ومنزلتها في صدورهم ولها الشأن العظيم ، وقد نزل عليه الصلاة والسلام في تلك الليلة بالصلوات الخمس ولهذا الصادقون في محبته عليه الصلاة والسلام المعتنون باتِّباعه صلى الله عليه وسلم لا يفرِّطون في هذه الصلوات المكتوبات ولا يضيِّعونها بل يحافظون عليها محافظة عظيمة ، أما أهل البدع فإنهم يفرِّطون في هذه الصلوات ويهملونها ولا يفرطون في احتفال في ليلة الإسراء والمعراج،

وذاك الاحتفال في ليلة الإسراء والمعراج أمرٌ غير مشروع إطلاقاً ولا دليل على مشروعيته ولا يجوز أن يحتفل ، فيعتنون بأمرٍ لا أصل له ويضيعون الفرائض التي افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده .

فلنتنبه لقول الناظم ((**فَيَا حَبَّذَا قُرْبٌ بِهِ كَمُلَ السَّعْدُ**)) ومن كمال السعد المنة العظيمة التي امتنَّ الله سبحانه وتعالى على أمة محمد عليه الصلاة والسلام بتلك الصلوات العظيمة التي هي قرة عيون المؤمنين وصِلَتهم برب العالمين ذلًّا وخضوعاً ودعاءً ومناجاةً وتعظيماً وذكراً لله سبحانه وتعالى ، وهي راحة القلوب وأنس النفوس ، قد قال عليه الصلاة والسلام : ((يَا بِلَالُ أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ)) وقال : ((جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)) . فكمل السعد أي السعادة والهناءة وقرة العين .

وَكَلَّمَهُ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ رَبُّهُ مُشَافَهَةً هَذَا هُوَ الْفَخْرُ وَالْمَجْدُ

((**وَكَلَّمَهُ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ رَبُّهُ**)) أي في تلك الليلة العظيمة كلَّمه ربه فسمع عليه الصلاة والسلام كلام الله من الله بلا واسطة ، فهو عليه الصلاة والسلام كليم الله كلَّمه الله تبارك وتعالى تكليما مثلما كلَّم سبحانه وتعالى موسى تكليما ، فنبينا عليه الصلاة والسلام كليم الله لأنه سمع في تلك الليلة في ذاك الموضع المقدس والمكان العظيم وفي تلك المنزلة الرفيعة العالية فوق السماوات السبع سمع عليه الصلاة والسلام كلام الله .

((**مُشَافَهَةً**)) أي من الله عز وجل مباشرة بدون واسطة .

((**هَذَا هُوَ الْفَخْرُ وَالْمَجْدُ**)) أي هذه مفخرة عظيمة ومجد رفيع وعالي منَّ الله سبحانه وتعالى به على نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وَيَكْفِيهِ أَنَّ النَّاسَ تَحْتَ لِوَائِهِ فَيَشْفَعُ فِيهِمْ حِينَ يَعْلُوهُمُ الْجَهْدُ

((**وَيَكْفِيهِ**)) أي فخراً وشرفاً وفضلا .

((**أَنَّ النَّاسَ تَحْتَ لِوَائِهِ**)) أي يوم القيامة .

((**فَيَشْفَعُ فِيهِمْ حِينَ يَعْلُوهُمُ الْجَهْدُ**)) أي حينما يصيبهم الجهد العظيم والعناء الشديد من الوقوف الطويل يوم القيامة ، يوم مقداره خمسين ألف سنة ويصيب الناس من الجهد ما الله سبحانه وتعالى به عليه في ذلك اليوم العصيب العظيم ، ويذهب الناس في ذلك اليوم إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة عند الله في أن يبدأ بالحساب ، فيذهبون إلى آدم فيعتذر ، وإلى نوح فيعتذر ، وإلى إبراهيم فيعتذر ، وإلى موسى فيعتذر ، وإلى عسى فيعتذر ، وكلٌّ يحيل على الآخر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ويحيلهم عيسى إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول ((أنا لها)) فيشفع وهذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى الكبرى التي يغبطه عليها الأولون والآخرون وهي المرادة

بقوله ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] ، فلما يتدافع الأنبياء هذا الأمر وكلٌّ يحيل على الآخر إلى أن يحيل عيسى عليه السلام فحينئذ يسجد النبي عليه الصلاة والسلام كما قال الناظم :

وَيَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ لِلَّهِ حَامِدًا يُقَالُ لَهُ ارْفَعْ قَدْ أُجِيبَ لَكَ الْقَصْدُ

((**وَيَسْجُدُ**)) أي النبي عليه الصلاة والسلام .

((**تَحْتَ الْعَرْشِ لِلَّهِ حَامِدًا**)) أي يحمد الله ويثني عليه ، قال عليه الصلاة والسلام ((فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ)) ؛ لا يعلمه عليه الصلاة والسلام وإنما يعلِّمه الله في ذلك الوقت من حسن الثناء عليه وحمده وتعظيمه سبحانه وتعالى ، فيسجد تحت العرش لله حامداً أي مثنيًا ومعظِّماً لله سبحانه وتعالى .

((**يُقَالُ لَهُ**)) أي يقول الله .

((**ارْفَعْ**)) أي رأسك كما جاء في الحديث ((ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ)) .

((**يُقَالُ لَهُ ارْفَعْ قَدْ أُجِيبَ لَكَ الْقَصْدُ**)) يعني هذا الأمر الذي قصدت الله عز وجل والتجأت إليه بطلبه قد أجيب لك ، وحينئذ يجيء الرب سبحانه وتعالى للفصل بين الخلائق كما قال الله في سورة الفجر ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) ﴾ .

لَهُ الْكَوْثَرُ الْمَوْرُودُ حُلْوٌ شَرَابُهُ فَمَنْ نَالَهُ لَمْ يَلْقَهُ ظَمَأٌ بَعْدُ

((**لَهُ الْكَوْثَرُ الْمَوْرُودُ**)) كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر:١] ، المورود : أي الذي يرِده عليه الصلاة والسلام وترِده أمته .

((**حُلْوٌ شَرَابُهُ**)) أي ماء الكوثر ماء حلوٌ أحلى من العسل كما جاء في الحديث ، وأيضا طيبةً رائحته فهي أطيب من رائحة المسك ، وجميلٌ لونه أبيض من الورق أي الفضة .

((**فَمَنْ نَالَهُ**)) أي من منَّ الله عليه وأكرمه بالشرب منه .

((**لَمْ يَلْقَهُ ظَمَأٌ بَعْدُ**)) أي لم يصبه الظمأ كما جاء في الحديث ((من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا)) أسأل الله أن يكرمنا وإياكم بالشرب منه بمنّه وكرمه .

لما عدَّد رحمه الله هذه المآثر والصفات والمناقب والخصائص والفضائل لنبينا عليه الصلاة والسلام قال :

فَمَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ حَصْرَ صِفَاتِهِ وَكَيْفَ وَلَا يُحْصَى لَهَا أَبَداً عَدُّ

((**فَمَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ حَصْرَ صِفَاتِهِ**)) كثيرة جداً صفات النبي عليه الصلاة والسلام وشمائله وخصائصه ومناقبه وفضائله صلى الله عليه وسلم .

((**وَكَيْفَ وَلَا يُحْصَى لَهَا أَبَداً عَدُّ**)) أي من كثرتها فهي صفات وخصائص ومآثر وفضائل ومناقب كثيرة جداً لا يحصى لها عد .

ثم يقول أيضا :

وَمَاذَا عَسَى نُثْنِي عَلَى خَيْرِ مُرْسَلٍ لَهُ مُعْجِزَاتٌ نَالَهَا مَا لَهَا حَدُّ

((**وَمَاذَا عَسَى نُثْنِي عَلَى خَيْرِ مُرْسَلٍ**)) يعني ماذا عسانا نقول في الثناء على خير المرسلين وسيد الأولين والآخرين وإمام الخلائق أجمعين وسيد ولد آدم أجمعين صلوات الله وسلامه عليه .

((**لَهُ مُعْجِزَاتٌ نَالَهَا**)) أي منَّ الله سبحانه وتعالى عليه بها وأعطاه إياها .

((**مَا لَهَا حَدُّ**)) أي من كثرة ما أعطاه الله سبحانه وتعالى من معجزات . وبعض أهل العلم أفردها في مجلدات بعنوان "دلائل النبوة" ، ودلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام هذه أفردها أهل العلم في مجلدات جمعوا فيها الأحاديث الكثيرة التي فيها معجزاته ودلائل نبوته صلوات الله وسلامه عليه .

ثم يقول :

فَإِقْرَارُنَا بِالْعَجْزِ عَنْ دَرْكِ وَصْفِهِ مَدِيحٌ لَهُ ثُمَّ اعْتِذَارٌ لَنَا بَعْدُ

((**فَإِقْرَارُنَا بِالْعَجْزِ عَنْ دَرْكِ وَصْفِهِ مَدِيحٌ لَهُ**)) يعني كوننا نُقِرُّ أننا عاجزون عن درك وصفه أي إدراك وصفه وجمع كل أوصافه ومناقبه عليه الصلاة والسلام هذا مديح له ؛ يعني يقال في مقام المدح والثناء عليه صلوات الله وسلامه عليه.

((**ثُمَّ اعْتِذَارٌ لَنَا بَعْدُ**)) يعني هذا من جهة مدح له عليه الصلاة والسلام ، ومن جهة اعتذار في قصورنا في هذا الباب.

لما عدَّد فضائله ومناقبه وشمائله وخصائصه – لما عدَّ ما تيسر من ذلك – أتى إلى المقصود فقال :

فَأَفْلَحَ مَنْ أَضْحَى بِنُورٍ لَهُ اهْتَدَى وَقَدْ خَابَ مَن مَارَى وَكَانَ لَهُ جَحْدُ

((**فَأَفْلَحَ**)) أي تحقق فلاح ((**مَنْ أَضْحَى**)) أي أصبح ((**بِنُورٍ لَهُ اهْتَدَى**)) أي أنَّ مَن أكرمه الله بالاهتداء بنور النبي أي الهدى الذي بُعث به النبي عليه الصلاة والسلام والحق الذي بُعث به فقد أفلح ، فالفلاح إنما هو في اتباعه والسير على منهاجه صلوات الله وسلامه عليه .

((**وَقَدْ خَابَ مَن مَارَى وَكَانَ لَهُ جَحْدُ**)) أي أن من كان شأنه مع ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام المماراة والمجادلة والخصومة واللجج ، أو كان له الجحد أي نصيبه في هذا الباب الجحد لما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام فهذا خاسر خائب .

قال رحمه الله :

٢١- وَأُمَّتُهُ فِي النَّاسِ هُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ كَذَا قَالَ فِي تَنْزِيلِهِ الْمَلِكُ الْفَرْدُ
٢٢- فَطَائِفَةٌ هُمْ ظَاهِرُونَ بِقَوْلِهِ عَلَى الْحَقِّ طُولَ الدَّهْرِ مَا دَامَ يَمْتَدُّ
٢٣- وَهُمْ نَاقِلُوا الْأَخْبَارِ أَهْلُ حَدِيثِهِ كَذَا قَالَ فِيهِمْ مَنْ لَهُ الحَلُّ وَالْعَقْدُ
٢٤- أَلَا فَابْشِرُوا يَا خَيْرَ طَائِفَةٍ غَدَتْ بِنَصْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ جَاءَ بِهِ الْوَعْدُ

هذه الأبيات يذكر فيها فضل أمة محمد عليه الصلاة والسلام وأنها خير أمة أخرجت للناس فيقول رحمه الله :

وَأُمَّتُهُ فِي النَّاسِ هُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ كَذَا قَالَ فِي تَنْزِيلِهِ الْمَلِكُ الْفَرْدُ

((**وَأُمَّتُهُ**)) أي أمة محمد عليه الصلاة والسلام .

((**فِي النَّاسِ هُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ**)) أي هم خير أمة أخرجت للناس .

((**كَذَا قَالَ فِي تَنْزِيلِهِ الْمَلِكُ الْفَرْدُ**)) أي كذا قال الله سبحانه وتعالى في القرآن المنزَّل من الله تبارك وتعالى ، يشير إلى قول الله عز وجل : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] .

فَطَائِفَةٌ هُمْ ظَاهِرُونَ بِقَوْلِهِ عَلَى الْحَقِّ طُولَ الدَّهْرِ مَا دَامَ يَمْتَدُّ

((**فَطَائِفَةٌ هُمْ ظَاهِرُونَ بِقَوْلِهِ**)) فطائفة من أمته عليه الصلاة والسلام ((هُمْ ظَاهِرُونَ))أي لهم العلو والظهور ((بِقَوْلِهِ)) أي لتمسكهم بقوله والتزامهم بهديه وسيْرهم على نهجه .

((**عَلَى الْحَقِّ**)) أي ظاهرون على الحق كما جاء بذلكم الحديث عنه صلوات الله وسلامه عليه ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ))

((**عَلَى الْحَقِّ طُولَ الدَّهْرِ مَا دَامَ يَمْتَدُّ**)) هذا يشير به إلى قول النبي عليه الصلاة والسلام ((إلى قيام الساعة)) ، يعني قوله ((عَلَى الْحَقِّ طُولَ الدَّهْرِ مَا دَامَ يَمْتَدُّ)) أي إلى قيام الساعة .

من هم هؤلاء ؟ قال :

وَهُمْ نَاقِلُوا الْأَخْبَارِ أَهْلُ حَدِيثِهِ كَذَا قَالَ فِيهِمْ مَنْ لَهُ الحَلُّ وَالْعَقْدُ

((**وَهُمْ نَاقِلُوا الْأَخْبَارِ**)) أي المروية المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام وعن صحابته الكرام .

((**أَهْلُ حَدِيثِهِ**)) أي المعتنين بحديثه عليه الصلاة والسلام روايةً ودراية .

((**كَذَا قَالَ فِيهِمْ**)) أي في وصف هذه الطائفة وبيان من هم أهل هذه الطائفة .

((**كَذَا قَالَ فِيهِمْ مَنْ لَهُ الحَلُّ وَالْعَقْدُ**)) أي قال ذلك أهل الرسوخ في العلم والبصيرة والفهم قالوا ذلك في الطائفة المنصورة . وهذا الذي ذكره نُقل عن عدد من أكابر أهل العلم منهم الإمام المبجَّل أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى .

ثم قال :

أَلَا فَابْشِرُوا يَا خَيْرَ طَائِفَةٍ غَدَتْ بِنَصْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ جَاءَ بِهِ الْوَعْدُ

هنا يسوق في هذا البيت بشارة عظيمة جداً لكل من كان متمسكاً بسنة النبي عليه الصلاة والسلام محافظاً على هديه معتنياً بحديثه روايةً ودراية علماً وعملا بأنَّ له النصر والعز والتمكين .

((**بِنَصْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ جَاءَ بِهِ الْوَعْدُ**)) لأن الله سبحانه وتعالى وعد بنصر المؤمنين .

قال رحمه الله :

٢٥- فَأَسْأَلُ رَبَّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ يَقِينًا وَتَثْبِيتًا إِذَا ضَمَّنَا اللَّحْدُ

٢٦- فَيَا خَيْرَ مَأْمُولٍ وَأَكْرَمَ رَاحِمٍ وَأَفْضَلَ مَرْجُوٍّ لَهُ يَرْتَجِي الْعَبْدُ

٢٧- أَقِلْنَا ذُنُوبًا كَالْجِبَالِ عَظِيمَةً وَهَبْهَا وَمَحِّصْهَا إِذَا مَسَّنَا الْجَهْدُ

٢٨- وَزَحْزِحْ عَنِ النِّيرَانِ ضَعْفَ جُسُومِنَا إِذَا اشْتَدَّ وَهْجُ النَّارِ وَاحْتَرَقَ الْجِلْدُ

٢٩- وَبَيِّضْ وُجُوهًا سَوَّدَتْهَا ذُنُوبُنَا وَلَيْسَ لَنَا فِي الْعَرْضِ عَرْصٌ وَلَا نَقْدُ

٣٠- وَثَبِّتْ لَنَا الْأَقْدَامَ فَوْقَ صِرَاطِنَا إِذَا زَلَّتِ الْأَقْدَامُ وَالْأَمْرُ مُشْتَدُّ

٣١- وَأَدْخِلْ بِرُحْمَاكَ الْجِنَانَ جَمِيعَنَا فَأَنْتَ كَرِيمٌ رَاحِمٌ صَمَدٌ فَرْدُ

٣٢- وَبِالنَّظَرِ الْمَوْعُودِ مَتِّعْ عُيُونَنَا فَرُؤْيَاكَ يَا مَوْلَايَ جَاءَ بِهَا الْوَعْدُ

٣٣- قَصَدْنَا بِحُسْنِ الظَّنِّ غَفْرَ ذُنُوبِنَا وَنَرْجُو بِحُسْنِ الظَّنِّ أَنْ يَنْجَحُ الْقَصْدُ

٣٥- فَيَا رَبِّ أَلْحِقْنَا بِمَنْ قَدْ هَدَيْتَهُ فَكَانَ لَهُ الْفِرْدَوْسُ والْحُورُ والْخُلْدُ

٣٦- فَلَوْلَاكَ تَأْمُرُ بِالدُّعَاءِ تَفَضُّلًا لَمَا لِلْعَاصِي يَدٌ قَطُّ تَمْتَدُّ

٣٧- وَصَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ وَالْآلِ كُلِّهِمُ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بَعْدُ

٣٨- وَسَلِّمْ وَحَقِّقْ مَا بِهِ قَدْ وَعَدتَنَا وَآخِرُ دَعْوَانَا لَكَ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ

هذه خاتمة لهذه الأبيات بدعوات عظيمة مباركة ختم بها رحمه الله تعالى هذا النظم وضمَّنها أيضاً جوانب من المعتقد مثل إثبات العرش وأيضا إثبات الرؤية ، وأمور أخرى من الاعتقاد ضمنها هذه الدعوات العظيمة المباركة التي ختم بها نظْمه رحمه الله فقال :

فَأَسْأَلُ رَبَّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ يَقِينًا وَتَثْبِيتًا إِذَا ضَمَّنَا اللَّحْدُ

((**فَأَسْأَلُ رَبَّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ يَقِينًا**)) أي أسأله سبحانه وتعالى أن يكتب لنا اليقين ، واليقين هو تمام العلم وكماله وانتفاء الشك ، وقد قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [الحجرات:١٥] أي أيقنوا ولم يشُكُّوا ، فيدعو الله سبحانه وتعالى أن يكتب لنا اليقين .

((**وَتَثْبِيتًا**)) أي الثبات على الحق والهدى ، وفي الدعاء المأثور عن نبينا عليه الصلاة والسلام ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ)) ، والتثبيت بيد الله عز وجل .

يقول ((**إِذَا ضَمَّنَا اللَّحْدُ**)) أي القبر ، عندما يأتي الفتّانان وحينها يُمتحن العبد وفي ذلك المقام يثبّت الله الذين آمنوا على اليقين ، فهو يدعو الله عز وجل اليقين والتثبيت إذا ضمَّنا اللحد أي جاء الفتانان وأجلسا العبد وسألاه وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧] .

فَيَا خَيْرَ مَأْمُولٍ وَأَكْرَمَ رَاحِمٍ وَأَفْضَلَ مَرْجُوٍّ لَهُ يَرْتَجِي الْعَبْدُ

هذه كلها توسلات إلى الله سبحانه وتعالى بأنه ((**خَيْرَ مَأْمُولٍ**)) أي خير من يرجى ويؤمَّل ويلتجأ إليه .

((**وَأَكْرَمَ رَاحِمٍ**)) فهو سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته جل وعلا كل شيء .

((**وَأَفْضَلَ مَرْجُوٍّ**)) أي أفضل من تعلَّقت به القلوب رجاءً وطمعا .

((**لَهُ يَرْتَجِي الْعَبْدُ**)) أي يلجأ في رجائه وحاجته وطلبه إليه وحده سبحانه وتعالى .

ثم يقول بعد هذه التوسلات :

أَقِلْنَا ذُنُوبًا كَالْجِبَالِ عَظِيمَةً وَهَبْهَا وَمَحِّصْهَا إِذَا مَسَّنَا الْجَهْدُ

((**أَقِلْنَا ذُنُوبًا كَالْجِبَالِ عَظِيمَةً**)) نسألك يا رب الإقالة أي العفو والمسامحة والتجاوز عن ذنوبٍ وقعنا فيها كالجبال أي كبيرة وعظيمة وعديدة .

((**وَهَبْهَا وَمَحِّصْهَا إِذَا مَسَّنَا الْجَهْدُ**)) أي مسَّنا العناء يوم القيام والوقوف بين يديك ، فنسألك أن تمحص الذنوب وأن تهب لنا الغفران وأن تستر علينا وأن تقيلنا عثرتنا تفضُّلاً منك وتكرماً .

((**إِذَا مَسَّنَا الْجَهْدُ**)) : أي في ذلك اليوم العظيم العصيب يوم الوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى .

وَزَحْزِحْ عَنِ النِّيرَانِ ضَعْفَ جُسُومِنَا إِذَا اشْتَدَّ وَهْجُ النَّارِ وَاحْتَرَقَ الْجِلْدُ

((**وَزَحْزِحْ عَنِ النِّيرَانِ ضَعْفَ جُسُومِنَا**)) أي جسومنا لا تقوى ولا تحتمل النار ، فنسألك تفضلاً منك يا ربنا وتكرماً أن تزحزح أجسامنا الضعيفة عن النار ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥] .

((**إِذَا اشْتَدَّ وَهْجُ النَّارِ وَاحْتَرَقَ الْجِلْدُ**)) ذلك أن النار يؤتى بها يوم القيامة تُجَرُّ بسبعين ألف زمام لها ومع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ، ثم ينصب عليها الصراط ويؤمر الخلائق بالمرور ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧١-٧٢] . فالناظم رحمه الله يشير إلى ذلك ((إِذَا اشْتَدَّ وَهْجُ النَّارِ)) أي حرُّها ((وَاحْتَرَقَ الْجِلْدُ)) أي جلد من وقع في النار ، وكلما احترقت الجلود بدِّلت بجلود غيرها ليذوقوا العذاب ، فيسأل الله في ذلك اليوم العصيب الذي تتساقط فيه الأجسام وتحترق فيه الجلود في نار جهنم يسأل الله سبحانه وتعالى الزحزحة عن النار كما قال الله ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ . اللهم أجِرنا أجمعين من النار يا رب العالمين .

وبَيِّضْ وُجُوهًا سَوَّدَتْهَا ذُنُوبُنَا وَلَيْسَ لَنَا فِي الْعَرْضِ عَرْشٌ وَلَا نَقْدُ

((**وبَيِّضْ وُجُوهًا سَوَّدَتْهَا ذُنُوبُنَا**)) أي اكتب لنا يا ربنا غفراناً لذنوبٍ وقعنا فيها ، وتلك الذنوب سوَّدت وجوهنا فنسألك يا الله أن تبيِّض وجوهنا يوم تبيَضُّ وجوهٌ وتسوَدُّ وجوه .

((**وَلَيْسَ لَنَا فِي الْعَرْضِ**)) أي يوم العرض عليك والقيام بين يديك .

((**وَلَيْسَ لَنَا فِي الْعَرْضِ عَرْصٌ وَلَا نَقْدُ**)) أي لا حيلة لنا في ذلك اليوم .

وَثَبِّتْ لَنَا الْأَقْدَامَ فَوْقَ صِرَاطِنَا إِذَا زَلَّتِ الْأَقْدَامُ وَالْأَمْرُ مُشْتَدُّ

((**وَثَبِّتْ لَنَا الْأَقْدَامَ فَوْقَ صِرَاطِنَا**)) أي فوق الصراط الذي يُنصب في ذلك اليوم على متن جهنم .

((**إِذَا زَلَّتِ الْأَقْدَامُ وَالْأَمْرُ مُشْتَدُّ**)) أي الأمر في ذلك اليوم أمر شدة وأمرٌ عصيب ؛ فنسألك يا ربنا في ذلك اليوم أن تثبّت لنا الأقدام فوق الصراط وأن تكتب لنا العبور والمرور والنجاة من النار ((إِذَا زَلَّتِ الْأَقْدَامُ)) لأن الأقدام تزل ، والناس يتفاوتون في ذلك اليوم ومنهم من تزل قدمه فيسقط في نار جهنم .

وَأَدْخِلْ بِرُحْمَاكَ الْجِنَانَ جَمِيعَنَا فَأَنْتَ كَرِيمٌ رَاحِمٌ صَمَدٌ فَرْدُ

((**وَأَدْخِلْ بِرُحْمَاكَ الْجِنَانَ جَمِيعَنَا**)) نسألك يا الله أن تدخلنا الجنان رحمةً منك وتفضلاً وأن تتغمدنا برحمة منك يا رب العالمين .

((**فَأَنْتَ كَرِيمٌ رَاحِمٌ صَمَدٌ فَرْدُ**)) وهذه كلها أسماء لله عز وجل يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بها ، والفرد كما قدَّمت هو من باب الإخبار وليس من باب الأسماء .

وَبِالنَّظَرِ الْمَوْعُودِ مَتِّعْ عُيُونَنَا فَرُؤْيَاكَ يَا مَوْلَايَ جَاءَ بِهَا الْوَعْدُ

((**وَبِالنَّظَرِ الْمَوْعُودِ مَتِّعْ عُيُونَنَا**)) أي نسألك يا الله أن تمتع عيوننا وأن تقرَّها بالنظر إليك .

((الموعود)) : أي الذي وعدت أهل الإيمان به في كتابك وفي سنة نبيك عليه الصلاة والسلام كما قال الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] ، وفي السنة قال النبي عليه الصلاة والسلام : ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ)) . ففي هذا البيت يسأل الله عز وجل أن يمتع العيون بالنظر إلى الله ، الموعود أي الذي وعد الله سبحانه وتعالى به أهل الإيمان .

قال : ((**فَرُؤْيَاكَ يَا مَوْلَايَ جَاءَ بِهَا الْوَعْدُ**)) أي جاء الوعد بها في القرآن وفي سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، وفي الدعاء المأثور عن نبينا صلى الله عليه وسلم : ((اللهم إني أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ)) .

قَصَدْنَا بِحُسْنِ الظَّنِّ غَفْرَ ذُنُوبِنَا وَنَرْجُو بِحُسْنِ الظَّنِّ أَنْ يَنْجَحُ الْقَصْدُ

((**قَصَدْنَا بِحُسْنِ الظَّنِّ غَفْرَ ذُنُوبِنَا**)) وهذا باب عظيم جداً ينبّه عليه الناظم وهو حسن الظن بالله سبحانه وتعالى وأن يكون العبد يظن بربه سبحانه وتعالى خيراً ، وفي الحديث ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ)) فينبغي على العبد أن يكون حسن الظن بالله سبحانه وتعالى .

((**قَصَدْنَا بِحُسْنِ الظَّنِّ غَفْرَ ذُنُوبِنَا**)) أن يغفر لنا ذنوبنا .

((**وَنَرْجُو بِحُسْنِ الظَّنِّ أَنْ يُنْجَحُ الْقَصْدُ**)) ونرجو بحسن ظننا بربنا سبحانه وتعالى أن ينجح القصد أي أن ينجح لنا مقصودنا ومرادنا وهو الفوز برضا الله والنجاة من سخطه ودخول جنته والنجاة من عذابه .

فَيَا رَبِّ أَلْحِقْنَا بِمَنْ قَدْ هَدَيْتَهُ فَكَانَ لَهُ الْفِرْدَوْسُ والْحُورُ والْخُلْدُ

((**فَيَا رَبِّ أَلْحِقْنَا بِمَنْ قَدْ هَدَيْتَهُ**)) يا رب منَّ علينا وتفضل علينا بأن تلحقنا بمن قد هديته أي كتبت له الهداية.

((**فَكَانَ لَهُ الْفِرْدَوْسُ والْحُورُ والْخُلْدُ**)) وهؤلاء الذين لهم الفردوس والحور والخلد يقولون عندما يهنئون بهذا النعيم وتقر عيونهم بهذا المنّ العظيم يقولون كما جاء في القرآن ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف:٤٣] ، فهو يسأل الله عز وجل الهداية قال : ((فَيَا رَبِّ أَلْحِقْنَا بِمَنْ قَدْ هَدَيْتَهُ فَكَانَ لَهُ الْفِرْدَوْسُ والْحُورُ والْخُلْدُ)) أي هديته ومننتَ عليه وتفضلت بدخول الجنة فحمدك وأثنى عليك .

فَلَوْلَاكَ تَأْمُرُ بِالدُّعَاءِ تَفَضُّلًا لَمَا لِلْعَاصِي يَدٌ قَطُّ تَمْتَدُّ

((**فَلَوْلَاكَ تَأْمُرُ بِالدُّعَاءِ تَفَضُّلًا**)) يعني لولا أنك أمرْتنا بالدعاء تفضلاً منك علينا ، أمرتنا أن ندعوك .

((**لَمَا لِلْعَاصِي يَدٌ قَطُّ تَمْتَدُّ**)) يعني كيف تمتد يد العاصي وتلك اليد التي تلطخت بالذنوب والمعاصي والآثام !! كيف تمتد لولا أنك أمرتنا بالدعاء ودعوتنا إلى أن ندعوك ووعدتنا بالإجابة ، وإلا نحن مقصرون ومذنبون وخاطئون . هذا كله في مقام الاعتراف والإقرار وأن الإنسان يبوء بذنبه ويبوء بتقصيره ويرجو رحمة ربه ويطلب منه سبحانه وتعالى غفران الذنوب وإقالة العثرات .

وَصَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ وَالْآلِ كُلِّهِمُ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بَعْدُ
وَسَلِّمْ وَحَقِّقْ مَا بِهِ قَدْ وَعَدتَنَا وَآخِرُ دَعْوَانَا لَكَ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ

ثم ختم بالصلاة والسلام على النبي الكريم عليه الصلاة والسلام قال :

((**وَصَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ وَالْآلِ كُلِّهِمُ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بَعْدُ**)) جمع هنا بين الصلاة والسلام لأن الصلاة في البيت الأول والسلام في الثاني قال ((وَصَلِّ .. وَسَلِّمْ))

((**عَلَى الْمُخْتَارِ وَالْآلِ كُلِّهِمُ**)) أي آل النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام والتابعين لهم بإحسان .

((**وَحَقِّقْ مَا بِهِ قَدْ وَعَدتَنَا**)) إلى ماذا يشير ؟ أي أمرتنا بالدعاء ووعدتنا بالإجابة ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠] ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦] ؛ فهو يختم هنا بسؤال الله سبحانه وتعالى أن يحقق ما وعد ، فهذا الدعاء ومن الله سبحانه وتعالى الإجابة نرجوها ، فقد وعد

سبحانه وتعالى من دعاه بالإجابة ، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : " إني لا أحمل همَّ الإجابة ولكن أحمل همَّ الدعاء " .

ثم قال في تمام هذا النظم وخاتمته : ((**وَآخِرُ دَعْوَانَا لَكَ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ**)) أي وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهذه منظومة كما ترون جميلة جداً وماتعة ونافعة وحوَت على مضامين عظيمة ومفيدة في أبواب الاعتقاد ، وإلى ما قبل مجلسنا هذا قبل الصلاة وأنا مشغولٌ في تصحيح النظم بمراجعته على النسخة الخطية ولم يتيسر لي مراجعة المعاني ؛ ولهذا لا أعتبر هذا المجلس شرح لهذه المنظومة وإنما هو شيء من المذاكرة التي فيها التقصير الكثير عفا الله عني وعنكم وغفر لي ولكم وأصلح لنا شأننا كله وهدانا إليه صراطاً مستقيما .

وأعيد ما بدأتُ به أن نعمل على نشر هذه المنظومة وخاصة في البلدان التي فيها التمذهب بمذهب الإمام الشافعي رحمه الله لعل الله سبحانه وتعالى يجعل فيها سبباً مباركاً في معرفة الاعتقاد الحق والهدي القويم هدي نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .